ABES13

**أحاديث الأذكار والأدعية 02 - فوائد الذكر**

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

**فمن فوائد الذِّكر العظيمة**: أنَّه حياةُ القلوبِ الحياة الحقيقية، وبدونه يموت القلب؛ ولهذا ثبت في صحيح البخاري عن النَّبيِّ ح أنَّه قال: ((مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ والَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ))، ولفظه عند مسلم: ((مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ فِيهِ اللهُ والبَيْتُ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّت))؛ فجعل عليه الصَّلاة والسَّلام الذَّاكر لله مثله مثل الحيِّ، وبيوت الذَّاكرين مثل بيوت الأحياء، وجعل عليه الصَّلاة والسَّلام مَثَل الَّذي لا يذكر الله كمثل الميِّت، وبيوت الَّذين لا يذكرون الله كبيوت الأموات، وهي المقابر؛ ولهذا قال في حديثٍ آخر: ((لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ)) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ا ، أي: اذكروا الله في بيوتكم وأقيموا فيها الصَّلاة واتلُوا كلامَ الله؛ لأنَّ البيت إذا لم يُتلَ فيه كلامُ الله، ولم يُذكرْ فيه سبحانه، ولم تُقَم فيه الصَّلاة؛ يكون مثل المقبرة الَّتي هي بيت الأموات.

ولهذا حثَّ عليه الصَّلاة والسَّلام على صلاة النَّافلة في البيت فقال: ((إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةُ المرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا المكْتُوبَةَ)) رواه البخاري من حديث زيد بن ثابت ا؛ لئلَّا يكون البيتُ مقبرةً، لأن البيت الَّذي لا يُذكر فيه الله جلَّ وعلا ولا يُصلَّى فيه مثله كمثل المقبرة -بيت الأموات- بل يصبح خرابًا لا يَرِد إليه ولا يدخله إلَّا الشَّياطين، أمَّا الملائكة لا تدخله، وإنَّما تتوارَد عليه الشَّياطين ويكون مأوًى لها؛ فيذهب الخيرُ من البيت، ويكثر فيه الشَّرُّ، وتتوالى عليه المشاكل، وتكثُر فيه المصائبُ، ويقع فيه أنواعٌ من الفساد. والله جلَّ وعلا يقول: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ(36) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[¨:36-37] .

ولهذا يجب على أهل البيوتِ المؤمنةِ أن ينصَحوا لأنفسِهم ولبيوتهم فيعمُروها بذكر الله ؛ بتلاوة القرآن وبإقامة الصَّلاة وكثرة ذكر الله وفعلِ الخيراتِ حتَّى تكونَ بيوتُهم من بيوت الأحياء، وحتى يكونوا هم من الأحياء، فذكرُ الله جلَّ وعلا هو حياةُ القلوب حقيقةً، وبدونه يموت القلب. وقد نقل ابن القيِّم : عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيميَّة : تشبيهًا عجيبًا للذِّكر ولحال القلب مع ذكر الله حيث قال: «الذِّكر للقلب مِثل الماء للسَّمك؛ فكيفَ يكون حالُ السَّمك إذا فارق الماء!»، ومعلومٌ أنَّ السَّمك إذا فارق الماء لِلَحظاتٍ يموت، والقلب إذا أُبعِد عن الذِّكر ولم يُعمر به يموت، فلا تحصُل له الحياة إلَّا بذكر الله، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [d:24].

وسمَّى تبارك وتعالى في مواطن عديدة من القرآن الوحيَ «روحًا»؛ كقوله: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (1) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[\l]، كذلك قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [§:52].

وسمَّى الله تبارك وتعالى مَن ينزلُ بالوحي -وهو جبريلُ- «روحًا»؛ قال: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [\v]، فجبريل ؛-الَّذي ينزلُ بالوحي- روحٌ، والوحي نفسُه روحٌ، لأنَّ حياةَ القلوب لا تكون إلَّا بالوحيِ وذِكْرِ الله تبارك وتعالى ، وبدونه تموت وتَقْسُو وتُظْلِم وتَعْمُر بالشَّرِّ والفسادِ، بينما إذا عَمُرَتْ بذكر الله تنامى فيها الخير وتزايَد فيها الصَّلاح وعمَّت فيها البركةُ.

**ومن فوائد الذِّكر**: أنَّه يطرُدُ الشَّيطانَ ويُبعده عن العبد، فيكون في حصنٍ حصينٍ وحرزٍ مكينٍ لا يجد الشَّيطان إليه سبيلًا. وقد جاء في الحديث الَّذي خرَّجه الإمام أحمد في «المسند» وغيرُه بإسناد صحيح عن النَّبيِّ ح أنَّه قال: ((إنَّ الله y أمَرَ يَحْيَى بنَ زَكَرِيا إ بخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إسْرَائِيلَ أَنْ يعْمَلُوا بهنَّ))، وفي الحديث أنَّ زكريا قال لقومه: ((إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ وَأَمَرَنِي أَنْ آمُرَكُمْ بِهِنَّ))؛ ثمَّ ذكر الأمر بالتَّوحيد أوَّلًا ، ثم الأمر بالصَّلاة، ثم الأمر بالصيام، ثم الأمر بالصَّدقة، ثمَّ ذكر الأمر الخامس وهو الأمر بذكر الله، فقال: ((وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهy كَثِيرًا ، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ العَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ -أي لحقَهُ العدوُّ لقتله وللبطش به- فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ العَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ الله y)) .

فالَّذي يذكر الله في حصنٍ حصين وحِرْزٍ مكين، لا يصلُ إليه الشَّيطان ولا يخلص إليه أبدًا؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ(5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[\ñ]؛ ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ هذه صفة الشَّيطان : «الوسواس الخنَّاس» ؛ يقول ابن عبَّاس ب في معنى هاتين الكلمَتَين: «الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسْوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ الله خَنَسَ» رواه الطَّبري في «تفسيره»؛ إذا ذكر العبدُ ربَّه خَنَسَ الشَّيطان وتصاغر وأصبح كالذُّباب، كما في الحديث ((وَلَكِنْ قُلْ بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ)) ، بل يولي عن الذَّاكر وينفُر منه؛ ولهذا جاء في الحديث: ((إِذا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ)) متفق عليه، وأيضا جاء في الحديث: ((لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِى تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ))، فلا يطيق الشيطان سماعَ ذكرِ الله، بل يُؤذيه الذِّكر ويُنفِّره ويبتَعد تمامًا من المكان الَّذي فيه ذكرٌ لله جلَّ وعلا .

فالذَّاكر في حِصْنٍ حَصِينٍ وحرزٍ مكينٍ يحميه -بإذن الله تبارك وتعالى- من الشَّيطان الرَّجيم ، أمَّا إذا غفل المرء عن ذكر الله توالت عليه الشَّياطين ودفعتُه للباطل وأزَّته للمعصية أزًّا، كما تقدَّم في قول الله: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ أي: ملازمٌ لا ينفكُّ عنه.

ومفهومُ المخالَفة للآية: أنَّه إذا ذَكَر الله جلَّ وعلاـ ابتعد منه الشَّيطان؛ فالذِّكر حصنٌ من الشَّيطان الرَّجيم، ولهذا أحْسَنَ صُنعًا مَنْ سمَّى من أهل العلم كتابه في الذِّكر «الحِصن الحصين»، أو «حِصن المسلم»، أو نحو ذلك.

وهذا اسمٌ صادقٌ على مسمَّاه؛ فالذِّكر هو الحصن الحصين، وهو حِصْنُ المسلم، وهو الحِرْزُ الَّذي يُحفظ به المسلم -بإذن الله تبارك وتعالى-، ولا يجد الشَّيطان سبيلًا إلى من كان ذاكرًا لله في الأوقاتِ كلِّها وفي كلِّ شيء؛ إذا ذكرتَ الله y على الطَّعام ابتعد الشَّيطان، وإذا ذكرتَه عند دخولك إلى البيت ابتعد الشَّيطانُ، وهكذا في كلِّ أمرٍ تذكر الله جلَّ وعلا عليه لا يكون للشَّيطان إليك فيه سبيلٌ، وتكون في حفظٍ من وساوس الشَّيطان وكيده وشروره وهَمزِه ونَفخِه ونَفثِه .

فهذه فائدة عظيمة وجليلة من فوائد الذِّكر، بل قال ابن القيم :: «فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقًا بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى وأن لا يزال لهجا بذكره؛ فإنه لا يحرِز نفسه من عدوه إلا بالذكر ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه وافترسه ، وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر وانقمع».

**ومن فوائد الذِّكر**: أنَّه يُذهب قَسوة القَلب؛ فالقلبُ يقسو بسبب الذُّنوب والتَّفريط في طاعة الله ونحو ذلك، وليس هناك شيء يُذيبُ قسوةَ القلب مثل ذكر الله جلَّ وعلا ، وليس هناك شيءٌ يجلب القسوة للقلب مثل الغفلة عن ذكر الله ، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (16) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [\¸]. فقسوة القلب سببُها -كما يدلُّ عليه سياق الآية الكريمة- هو طول الأمَد بالبُعد عن الذِّكر وعن القيام بأمر الله، فإذا حصَل هذا البُعد حصلت القسوةُ، ولا تزول هذه القسوة إلَّا بالعودة إلى ذكر الله والرُّجوع إلى الله ، ولهذا قال في الآية الَّتي تليها: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: فكما أنَّه يُحيي الأرضَ بعد موتها بالماء والمطر؛ فإنَّه يُحيي تبارك وتعالى القلوبَ الميِّتة بالوحي والذِّكر لله، فإذا ذكَر الإنسانُ ربَّه حَيِي قلبُه وذهبتْ عنه القسوةُ.

ولهذا يُؤثَر أنَّ رجلًا أتى إلى الإمام الحسَن البصري : وقال له: يا أبا سعيد أشكو إليك قسوةَ قلبي؟! قال: «أَذِبْهُ بذكر الله»، أي: أَذِبْ هذه القسوةَ الَّتي في قلبك بالإكثار من ذكر الله تبارك وتعالى، فذكرُ الله جل وعلا يُذهب القسوةَ الَّتي تقع في القلب؛ فتتبدل إلى لينٍ وسكونٍ وطمأنينة. قال ابن القيم :: «وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار، فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله ».

والمفاسد والأضرار المتولدة عن إضاعة الذكر كثيرة ، قال ابن القيم : : «قلة التوفيق ، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونُفرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم ولباس الذل وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيِّعون الوقت، وطول الهم والغم، وضنك المعيشة، وكسف البال؛ تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله كما يتولد الزرع عن الماء، والإحراق عن النار، وأضداد هذه تتولد عن الطاعة».

هذا ونسأل الله أن يوفقنا أجمعين لكل خير ، وأن يصلح لنا شأننا كله، وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب .

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .